مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies
تعليقات

زيارة الرئيس الروسي للمملكة: مصافحة بعد سبعين عاماً

الدكتورة نورة الشهري
يوليو ٢٠١٩

في الزيارة المرتقبة لرئيس روسيا الاتحادية فلاديمير بوتين إلى المملكة العربية السعودية لعام ٢٠١٩، والتي مهّد لها وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف في زيارته الخليجية في مارس ٢٠١٩، فإن هذه الزيارة ترمي إلى تسوية عدد من الملفات المشتركة بين البلدين. ومن المقرر أن تفتتح فصلاً تاريخياً جديداً في العلاقات بين موسكو والرياض. فالأمر لا يقتصر على حقيقة أن الرئيس الروسي سيأتي إلى الرياض لأول مرة منذ استعادة الروابط بين البلدين في عام ١٩٩٢، ولكن أيضا بسبب ما سيحدث فيها بحسب التوقعات، مما يجعل هذه الزيارة المرتقبة هامة ومفصلية للغاية.

ومع عودة موسكو إلى حلبة الشرق الأوسط من البوابة السورية، أصبحت هي والرياض القوتان الإقليميتان اللتان تتمتعان بطموحات عالمية، ومفضّلة بشكل طبيعي لأن تصبحا منافسين في قضايا تتراوح ما بين سوريا وفلسطين واليمن والنفط وإيران وغيرها.

ورغم كل ما مرت به العلاقة بين البلدين، فقد اقتربت موسكو والرياض من التفاهم والتنسيق المتبادلين بشأن هذه القضايا مع زيارة الملك سلمان لموسكو في ٢٠١٧، ومحادثات سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان مع الرئيس بوتين على هامش قمة العشرين، والتي أعقبتها زيارة لافروف وزير الخارجية الروسي للرياض في مارس ٢٠١٩ ولقاءه بخادم الحرمين الشريفين، إضافة إلى الوزير السعودي عادل الجبير.

سياق تاريخي للعلاقات السعودية - الروسية

كان الاتحاد السوفييتي السابق أول دولة اعترفت بسيادة المملكة العربية السعودية ١٩٢٦م، عندما كانت تسمى بمملكة الحجاز ونجد وملحقاتها. وفي بداية الثلاثينيات من القرن العشرين بدأت تتطور العلاقات السياسية والاقتصادية بين البلدين بشكل وطيد.

تعددت الشخصيات القيادية السعودية المؤثرة التي زارت الاتحاد السوفييتي سابقا، وحتى بعد سقوطه متمثلا بروسيا الاتحادية. كانت أولى تلك الزيارات زيارة نائب الملك الأمير فيصل بن عبدالعزيز – آنذاك – الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٣٢م. أعقب تلك الزيارة زيارة قام بها الأمير فهد بن فيصل بن فرحان آل سعود إلى موسكو في سنة ١٩٦٢م، وتوالت الزيارات بين البلدين، فجاءت زيارة وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل للاتحاد السوفييتي بصورة رسمية أول مرة في عام ١٩٨٢م، تلت تلك الزيارة زيارة أخرى للأمير سعود الفيصل للاتحاد السوفييتي عام ١٩٨٨م، وفي عام ١٩٩٠م، بعد ستة أشهر من زيارة الأمير بندر بن سلطان، أعقبها قيام الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي، بزيارتي عمل أخرى إلى موسكو.

وفي ٢٧نوفمبر ١٩٩٠ زار وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل موسكو مرة أخرى، وأجرى مباحثات في الكرملين مع الرئيس غورباتشوف. ثم جاءت زيارة الأمير سعود الفيصل لموسكو في عام ١٩٩٢م، مباشرة بعد وقوع حادث الهجوم الإرهابي في دوبرفوكا. وفي أثناء الزيارات المتبادلة بين وزيري الخارجية سعود الفيصل، وإيجور ايفانوف، في عام ٢٠٠٠م، لم تطرح القضية الشيشانية على جدول الأعمال، وكرست المباحثات بصورة رئيسة إلى قضايا تسوية أزمة الشرق الأوسط وآفاق التعاون الاقتصادي وممهداته.

وفي عام ٢٠٠٢م قام وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل بزيارة عمل إلى موسكو، وتركزت مباحثاته مع نظيره الروسي أيغور إيفانوف على الوضع في المنطقة وبالأخص في العراق وفلسطين. جرت في عام ٢٠٠٣م، زيارة أيضاً للأمير سعود الفيصل وزير خارجية المملكة إلى موسكو، ونوقشت خلالها قضيتان رئيسيتان لهما أهمية إقليمية، هما: الوضع في العراق، وتسليم قيادة السلطة الوطنية الفلسطينية خارطة طريق إلى حكومة إسرائيل. وقد حدثت بعدها الزيارة المفصلية التي غيرت مسار العلاقات بشكل كلّي. ففي عام ٢٠٠٣م، الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي عهد المملكة العربية السعودية – آنذاك – موسكو كانت هي الزيارة الثانية لرئيس النخبة السياسية السعودية إلى العاصمة الروسية (بعد زيارة الملك فيصل بن عبد العزيز عام ١٩٣٢م) عندما كان يشغل وزير الخارجية آنذاك على هذا المستوى من التمثيل سعودياً.

تلت تلك الزيارات زيارة الأمير محمد بن سلمان، ولي ولي العهد ووزير الدفاع – آنذاك – روسيا الاتحادية في زيارة رسمية عام ٢٠١٥م، والتقى الأمير محمد بن سلمان بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين. وتمحور اللقاء حول تطوير العلاقات بين البلدين، وأوضاع المنطقة من سوريا إلى العراق واليمن ولبنان. ثم زار الأمير محمد بن سلمان روسيا سنة ٢٠١٧م، وكانت زيارته تمهيدا لقدوم ملك المملكة العربية السعودية، الملك سلمان بن عبدالعزيز إلى روسيا.

زار خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود روسيا سنة ٢٠١٧م. وتعتبر هذه الزيارة التاريخية أول زيارة يقوم بها ملك سعودي لروسيا، ونوقشت خلالها أيضاً قضايا الشرق الأوسط، ومن أهمها القضية السورية، وانتهاكات إيران المستمرة للقوانين الدولية. أُعقب تلك الزيارة زيارة ولي العهد السعودي الامير محمد بن سلمان لروسيا الاتحادية سنة ٢٠١٨م، بناء على تلبية الدعوة من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ولقائه، ولحضور حفل افتتاح كأس العالم ومباراة المنتخب السعودي ونظيره الروسي الافتتاحية.

في النسخة الثالثة والعشرين من منتدى سانت بطرسبيرغ الاقتصادي الدولي الذي افتتح بتاريخ ٦ يونيو ٢٠١٩، التقى فيه وزير الطاقة السعودي المهندس خالد الفالح مع معالي وزير الطاقة الروسي ألكساندر نوفاك، من خلال الدورة السادسة لأعمال اللجنة السعودية الروسية المشتركة. وقد وقع الطرفان عدداً من الاستثمارات والاتفاقيات الفرعية.

على هامش قمة مجموعة العشرين في مدينة أوساكا في اليابان، التقى صاحب السمو الملكي ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان مترأساً الوفد السعودي بفخامة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، نقل خلال اللقاء تحيات خادم الحرمين

الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز لفخامة الرئيس الروسي، ودعوته له بزيارة المملكة العربية السعودية، وقد وافق الرئيس الروسي على الدعوة التي تقررت في خريف هذا العام ٢٠١٩ بشهر أكتوبر. وفي قمة مجموعة العشرين أيضا في اليابان، التقى معالي وزير الطاقة السعودي خالد الفالح مع معالي وزير الطاقة الروسي ألكساندر نوفاك، نوقشت خلال اللقاء أوضاع الأسواق البترولية الدولية، والخيارات المختلفة تجاه تمديد اتفاقية أوبك+، وكذلك التعاون في مجالي النفط والغاز، وتعميق التعاون التجاري والاستثماري بين البلدين. في اجتماع فيينا بتاريخ ١ يوليو ٢٠١٩، تقرر عمل ميثاق «التعاون الدائم» الذي وصفته السعودية بأنه «تاريخي» بين دول منظمة أوبك والدول الشريكة وعلى رأسها روسيا، كما تم تأكيد تمديد اتفاقية أوبك+ إلى نحو ٩ أشهر قادمة.

بعض النتائج المتوقعة والمعطيات للزيارة المقبلة للرئيس فلاديمير بوتين للمملكة العربية السعودية

تأتي زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين للرياض -الحليف التقليدي للولايات المتحدة- في الوقت الذي تنفتح فيه المملكة العربية السعودية في تمتين علاقاتها الدولية على بلدان أخرى، وخاصة في آسيا، مثل روسيا والصين والهند وباكستان -الحليف القديم-. وتعد روسيا الاتحادية ثاني أكبر مصدر للنفط في العالم بعد المملكة العربية السعودية. كما أن موسكو تعد حليفا محتملا له نفوذ سياسي كبير كعضو في كل من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وما يسمى بوسطاء السلام في الشرق الأوسط، وقد اكتسبت مؤخرا ثقة دولية كبيرة بعد تمكنها العسكري في سوريا، والدفع بالفرقاء في سوريا إلى الحل السياسي في سوتشي وأستانا وجنيف.

ومن خلال المعطيات الموجودة، يمكن أن نلخص توقعات للمحادثات الثنائية خلال الزيارة المرتقبة:

١- من المحتمل أن يكون قرار إشراك روسيا بشكل أكثر نشاطًا في السعودية يتعلق بحسابات المملكة للسياسة الخارجية على المدى الطويل، إذ أن موازنة العلاقات مع روسيا رمزية في المقام الأول، وتدعم مكانة المملكة القوية في العالمين العربي والإسلامي كدولة تتفاوض مع الأطراف الفاعلة والقوية والمؤثرة في الإقليم.

٢- بالنسبة للرياض، فإن الشرق الأوسط يعاني الآن من اضطرابات خطيرة، حيث قلصت الولايات المتحدة من وجودها، وزادت إيران من نفوذها في بعض المناطق سواء بشكل مباشر أو بالوكالة. تعد روسيا في هذه الحالة نظراً لدورها الدولي المكين شريكاً مناسباً يمكنه ملء الفراغ الذي خلفته الولايات المتحدة، وكبح جماح طهران. وأيضا فإن ترسيخ العلاقات بالزيارات قد تصبح إجراءً لبناء الثقة في تغيير المعادلة الجيوسياسية في الشرق الأوسط لصالح الطرفين.

٣- يقترب كلا البلدين من أهداف سياسية واضحة فيما يتعلق بقضايا الإقليم ككل، وخاصة في سوريا واليمن، وأيضا القضية الفلسطينية الإسرائيلية. من الضروري التفاهم المتبادل بين روسيا والسعودية. تحتاج روسيا إلى المملكة العربية السعودية في تسوية الموقف العربي من سوريا أولاً، كون المملكة لاعب إقليمي مهم في القضية السورية، ومن المهم بالتأكيد صياغة فهم لمستقبل سوريا.

٤- وتوكيداً لبعض التقييمات، فقد ركز لافروف على آفاق التعاون الاقتصادي والتجاري في زيارته مارس ٢٠١٩، إذ يتزايد حجم التجارة الخارجية بين روسيا والمملكة العربية السعودية مؤخراً. ووفقًا لدائرة الجمارك الفيدرالية في الاتحاد الروسي، فقد بلغت في عام ٢٠١٧ نحو ٩١٥,٢ مليون دولار، أي بزيادة ٨٦٪ مقارنة بعام ٢٠١٦. وفي الوقت نفسه، كانت هناك زيادة كبيرة في صادرات روسيا إلى المملكة العربية السعودية (بنسبة ١١٩,٦ ٪)، والتي بلغت في عام ٢٠١٧ نحو ٧٧٠,٧ مليون دولار. ومن المرجح أن تكون الزيارة تتويجاً لهذا التعاون وبناء الثقة.

٥- في أكتوبر ٢٠١٧، وقعت روسيا والمملكة العربية السعودية برنامجًا للتعاون في مجال المفاعلات منخفضة ومتوسطة القدرة، والتي يمكن استخدامها لتوليد الطاقة وتحلية مياه البحر. وتشمل الخطط العمل المشترك على تدريب الموظفين للبرنامج النووي الوطني للمملكة العربية السعودية، وتطوير بنيتها التحتية النووية. والآن، تعقد المملكة مناقصة لبناء أول محطة للطاقة النووية تتألف من وحدتين، وسيتم توقيع عقد البناء الخاص بها بحلول نهاية عام ٢٠١٨، وهذا يحفز على المزيد من التبادلات المستقبلية.

٦- يذكر أندريه كوروتاييف، الباحث البارز في المدرسة العليا للاقتصاد في مقال له في «ذا موسكو تايم»، بأن محور المحادثات سيكون قضايا التنسيق في سوق النفط، من حيث أن النفط يشكل عامل رئيسي تعتمد عليه ميزانيات الدول المصدرة: «لقد أدرك كلا البلدين مؤخرًا أنه لا يمكن تجاهل مصالح بعضهما البعض في قطاع النفط. لقد أثر هبوط أسعار النفط بشدة على عائدات البلدين، وقد حقق التعاون داخل (أوبك+) فوائد هائلة لكليهما».

ولم يستبعد الخبير أن يناقش رؤساء الدول الحفاظ على الأسعار عند المستويات التي وصلت إليها هذا العام. وفي الآونة الأخيرة، فقد أعلن رئيس وزارة الطاقة الروسية، ألكساندر نوفاك، في ديسمبر ٢٠١٨ عن اتفاق حول صفقة (أوبك+) بتحويلها إلى منظمة دائمة من الدول المصدرة للنفط، وستقود روسيا والمملكة العربية السعودية هذه المؤسسة الجديدة كأكبر منتج للنفط في العالم. ولهذا فمن المحتمل أن تناقش هذه المسألة خلال الزيارة.

٧- هناك تعاون عسكري بين روسيا والمملكة العربية السعودية، وبعض الصفقات العسكرية مثل شراء السعودية للنظام الدفاعي الروسي S-٤٠٠، وبأن التعاون يتطور في مجال الفضاء. عسكرياً، فإن الولايات المتحدة هي المورد الرئيسي للأسلحة إلى المملكة على مدى عقود. لكن قد تتطلع السعودية لروسيا لتنويع مواردها العسكرية.

٨- في مجال الغاز الطبيعي، فقد ذكر المهندس خالد الفالح وزير الطاقة والثروة المعدنية في السعودية عن اتفاقيات واعدة بين أرامكو ومشروع الغاز الطبيعي المسال الروسي «نوفتاك»، بحيث تشتري أرامكو حصة من المشروع. يهدف مشروع الغاز القطبي إلى إنتاج الغاز الطبيعي المسال بين عامي ٢٠٢٢-٢٠٢٣، لكن هذا الاتفاق المفتوح لم يُحسم حتى الآن، ومن المرجح أن يكون موضوعاً يطرح في أجندة الزيارة.

٩- انفتح باب التبادلات الثقافية بين البلدين، وقد أوكل الملك سلمان بن عبدالعزيز في مارس ٢٠١٩ هذه المهمة لوزير الثقافة سمو الأمير بدر بن فرحان آل سعود أو من ينوب عنه. بحيث يتم توقيع مشروع مذكرة تفاهم للتعاون في المجال الثقافي بين وزارة الثقافة في المملكة العربية السعودية ووزارة الثقافة في روسيا الاتحادية، ومن ثم رفع النسخة النهائية الموقعة لاستكمال الإجراءات النظامية. وقد سبق لموسكو أن استضافت الأسبوع الثقافي السعودي، ومن المرجح أن تفتتح المسارح الروسية مثل البولشوي والمارينسكي عروضها في السعودية، ومنها الأوبرا والباليه، إضافة لشراكات أخرى في معارض الكتب.